من تراب الطريق! (٢٦٠)

العارف (*)

العارف اسم ديوان للشاعر المحامى الأديب الفقيه محمد عبد الله محمد، ديوانه " العارف " الذى منه أغترف، وصفته: "العارف" الذى نهلت منه حيّ وراحلاً .. ما قصدته إلاّ وجدت ما يضيف إليَّ، وما طالعت مؤلفاً من مؤلفاته، أو بعضاً من أشعاره - إلاّ ووجدتنى أغوص وراءه فى الأعماق. وأحلق معه فى السموات ..

طفت فى " أحاديث " قصيدته " الدوم " من ديوانه " العارف "، فرأيته فى الحديث الثالث يتتبع الإنسان فى جريه وراء الدنيا الغرورة، ثم فى تأمله فى حكمة خلقه والمفارقة المتجلية بين حكمة وتدبير الرب، واضطراب وحمق العبد . فأين قصور الإنسان أمام العلم اللدنى، وكيف تكون مناجاته إلى خالقه :

قد دبَّرَ الربُّ أجزائى بِحِكْمَتِهِ ... وَسُقْتُ بالحُمق أحزائى وإجْماعِى
لكلِّ شىء بهذا الكونِ خُطْوَتُه ... ولا انتظامَ لأنْغَامِى وإيقَاعِى
لا سَقْفَ فوقَ خيالى فى تَطَلُّعِه ... ولا حدودَ لإشْرافِى وأطماعِى
فكيفَ يَمْنَحُ مِثْلِى قلبَهُ سَلَفاً ... لم يكتملْ أبدًا بالحُبِّ إقناعِى

* * *

لاتَدَّعى العلمَ إنَّنا بشر ... لنا انتباهٌ وإدراكٌ وإلهام
ولا نَهاب من الألفاظِ سطوتَها ... فتلك فى أغلبِ الأحيانِ أصنامُ

(*) المال ٢٠٠٩/٥/١٤

سكْرَى تخاطِبُ نَعْساناً فَنَحْسَبُهَا حقيقةً وهى أحلامٌ وألغـــــامُ
تبارك الرَّبُّ هل تحتاج رؤيتُهُ إلى فصيحٍ وهل يُخفيه إعْجَـامُ ؟!

* * *

رَبِّـى تُقاتُكَ والعاصونَ مشكلةٌ جسْـمٌ وعقـلٌ وأشبـاحٌ وأرواحُ
نومٌ وصحْوٌ وإسفافٌ وتَعْلِيـــةٌ نارٌ ونورٌ وأتـراحٌ وأفـــراحُ
هُمُ صغارٌ وأوْغادٌ ذَوو حِيَـــلٍ وهم كبـارٌ لهُـمْ شأوٌ وأوْضَـــاحُ
وهُمْ جميعاً لَدَى الرحمن فى كَنَفٍ ولُطْـفُ ذِى اللُّطـفِ غدَّاءٌ ورَوّاحُ

* * *

صَمَتَتْ بَلاَبلُ هذا الرّوضِ من حِقَبٍ فلا تُغَنِّـى ضيَـا فَجْرٍ ولا شَفَـقِ
ولا تبـارحُ أيـكاً جـفَّ معظمُـه ولا تطـوفُ بنَبـعٍ فيه منبثِـقِ
فَهَلْ يعودُ لهذا الروضِ نُضْرتُـهُ وَفِضَّةُ المـاءِ رقـراقٍ ومُنْدَفِـقِ
وَشَدْوُ كُلِّ طيـورِ الجـوِّ يملـؤُه بِحُـبٍّ مُنْطـلِقٍ منهـا لِمُنْطَلِقِ ؟

* * *

لقد تَعِبْنَـا من الإنصـاتِ فـى مَلَلٍ لذلك الجيْشِ من شـرّاحِ ماضينـا
ولم نصـادِفْ كلاماً قَطُّ - أقنعَنَـا بـه نواجـهُ دُنْيَانَـا وَيُجْدِينـا
نِمْنَا ولم نَكُ أيْقاظـاً وشَجَّعَنَـا على المنـامِ غناءٌ نائـمٌ فينَـا
بـه نُـرَدِّدُ إيقاعـاً يُخَدِّرُنَـا ويمـلأُ النـومُ بالأحـلامِ وَادينَـا

* * *

اكْبَحْ جِمَاحَكَ معْنى الشىء خارجُهُ وليْس جُوَّاهُ جَلَّ الشىءُ أوْ هَانَـا
أنْت الذى تُفرِزُ المَعْنَى وتُلْصِقُـهُ بالشىءِ حسَّنَ هذا الشىءَ أوْ شَانَـا
هَذِى العيونُ لَدَى الغُزلانِ خاليـةٌ مما تَصَـوَّرُ فيهـا الشِعْـرُ أحيانَا
وليسَ يَسْهَرُ نجْمٌ فـى الدُّجَـى أبَدَا إلاَّ إذا كنْـتَ يا مسكيـنُ سَهْرَانَـا

ماذا تُريدُ ؟ لقد غَاضَتْ منابعُنَـــا ... وقَلَّ فـــى رَوْضِنـــا الأندادُ والمطرُ
وذلك الشـــوكُ فينـــا هـــل يغيِّرُهُ ... تدفُّقُ المـــاءِ إنْ يَأذنْ بـــه القَـــدَرُ ؟
أمْ نحنُ كالدومِ لا يَسْخُو بفاكـــهـــةٍ ... ولو تَنَاهـــد فيـــه السَّيْـــلُ والنَّهَـــرُ
ورغْمَ هـــذا فـــإنَّ اللهَ يملؤنـــا ... إذا تهامَسَ صَمْتُ البيـــدِ والقَمَـــرُ